

الطفل والهوية في زمن الشاشة: جدليات التشكيل الاجتماعي في الفضاء الرقمي

The Child and identity in screen time: Dialectics of social formation in the digital space

بطوش صورية¹

¹ جامعة مولود معمري ، تيزي وزو (الجزائر)، soraya.bettouche@ummtto.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/15 تاريخ القبول: 2026/04/27 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يشهد عالم الطفولة تحولات عميقة نتيجة الثورة الرقمية التي اجتاحت مختلف جوانب الحياة، و أعادت تشكيل العلاقات الاجتماعية، وأساليب التنشئة، وأنماط التفاعل. تهدف هذه الورقة البحثية الى تفكيك العلاقة المركبة بين الفضاء الرقمي و الهوية الاجتماعية للطفل، من خلال دراسة أثر الرقمنة على بناء الهوية، و تحليل تحولات التنشئة الاجتماعية، و الكشف عن المخاطر الناتجة عن الاستعمال المفرط و غير المؤطر للتكنولوجيا الرقمية.

الكلمات المفتاحية: التربية الرقمية؛ الطفولة؛ الفضاء الرقمي؛ المواكبة؛ الهوية الاجتماعية؛ التنشئة.

Abstract:

The world of childhood is witnessing profound transformations because of the digital revolution that has swept through various aspects of life, reshaping social relationships, parenting methods, and interaction patterns. This research paper aims to deconstruct the complex relationships between the digital space and the child's social mobility by studying the impact of digitization on identity construction, analyzing transformations in

socialization, and revealing the risks resulting from the excessive and unstructured use of digital technology.

Keywords: childhood, digital education, digital space, keeping up, social identity, upbringing.

*المؤلف المرسل: صورية بطوش

1. مقدمة

شهدت العقود الأخيرة تحولات غير مسبوقة في طبيعة الوسائط الاجتماعية ووسائل الاتصال، مما أسفر عن بروز فضاء رقمي متسارع التطور صار يحتل موقعًا مركزيًا في الحياة اليومية، لا سيما لدى الأجيال الناشئة. فقد أصبح الطفل اليوم جزءًا من عالم رقمي واسع، لا يقتصر على اللعب أو الترفيه، بل يتجاوز ذلك إلى تشكيل وعيه بذاته، وبالأخرين، وبالعالم من حوله. إن هذا الانغماس المبكر في البيئة الرقمية يطرح تساؤلات جوهرية حول أثر هذه الوسائط في بناء الهوية الاجتماعية للطفل، وفي إعادة تشكيل أدواره وعلاقاته وموقعه داخل المجتمع.

تُعد الهوية الاجتماعية مفهومًا معقدًا يتشكل في إطار تفاعلي بين الفرد والمحيط الاجتماعي والثقافي. وإذا كانت الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام التقليدية تشكل سابقًا أهم دعائم هذا البناء، فإن الفضاء الرقمي فرض نفسه اليوم كفاعل اجتماعي جديد، يحمل خطابات متعددة، وقيمًا متباينة، وقد يخلق في أحيان كثيرة تصدعات في مكونات الهوية الطفولية، خاصة إذا غابت آليات المراقبة والتوجيه.

تسعى هذه المداخلة إلى تحليل أثر الفضاء الرقمي على الهوية الاجتماعية للطفل، من خلال تناول مختلف الأبعاد المرتبطة بالتنشئة في ظل الرقمنة، واستجلاء طبيعة التحولات التي مست تمثيلات الطفل لذاته وللعالم الاجتماعي، مع التركيز على الإشكالات التربوية والثقافية الناجمة عن هذا الواقع الجديد، وطرح بعض الرؤى المراقبة لهذه التحديات.

2. الهوية الاجتماعية: المفهوم والأبعاد عند الطفل

تُعد الهوية الاجتماعية من المفاهيم المركزية في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، إذ تشير إلى الكيفية التي يعرف بها الفرد نفسه ضمن الجماعات التي ينتمي إليها، مثل العائلة، المدرسة، الرفاق، والمجتمع الأوسع. وهي لا تُمنح للفرد بشكل جاهز، بل تُبنى تدريجيًا من خلال التفاعل الاجتماعي، التمثل الثقافي، والتجربة اليومية.

يُعرف تاجفيل (Tajfel, 1981) الهوية الاجتماعية بأنها "الجزء من مفهوم الفرد عن ذاته الذي ينبع من معرفته بعضويته في جماعة اجتماعية، ومن القيمة والانفعالات المرتبطة بهذه العضوية" (ص. 255). من هذا المنطلق، فإن الطفل لا يولد بهوية اجتماعية مكتملة، بل يشرع في اكتسابها عبر مراحل النمو، ضمن سياقات متغيرة، تُملئها الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام التقليدية.

تشمل الهوية الاجتماعية للأطفال عدّة أبعاد أساسية، منها:

البعد القيمي والأخلاقي: وهو مرتبط بالقيم والمعايير التي يتعلمها الطفل من خلال التنشئة الأسرية والاجتماعية، والتي تحدد له ما هو مقبول وما هو مرفوض داخل جماعته الاجتماعية.

البعد اللغوي والتواصلي: حيث تُعد اللغة أداة مركزية لبناء الهوية، إذ تحدد كيفية التعبير والتفاعل وفهم العالم.

البعد الانتمائي والثقافي: ويتعلق بتمثل الطفل للانتماء العائلي، الجغرافي، الديني، والوطني، وما يرافقه من رموز وهوية جماعية.

البعد التفاعلي والديناميكي: يشير إلى طريقة تفاعل الطفل مع الآخرين، وقدرته على تبني أدوار اجتماعية مختلفة داخل الجماعة.

يؤكد علماء النفس التنمويون أن بناء الهوية لدى الطفل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بجودة التفاعلات الاجتماعية التي يخوضها، وبتكرارها واستمراريتها في بيئات مستقرة وآمنة (Erikson, 1968, p. 120). غير أن هذه العملية، التي كانت تتم سابقًا في فضاءات محددة ومباشرة، أصبحت اليوم محكومة بتغيرات فرضها الفضاء الرقمي، ما يستدعي إعادة النظر في محددات هذه الهوية وطرق تشكيلها.

3. الفضاء الرقمي كفاعل اجتماعي جديد

مع اتساع استخدام التكنولوجيا الرقمية ووسائل الإعلام الجديدة، تحوّل الفضاء الرقمي إلى بيئة اجتماعية بديلة، بل وأحياناً مهيمنة، خاصة بالنسبة للأطفال الذين يولدون اليوم في عالم متصل شبكيًا منذ اللحظة الأولى. لم يعد الفضاء الرقمي مجرد أداة ترفيه أو تعليم، بل أصبح "فاعلاً اجتماعياً" يشارك بقوة في عمليات التنشئة الاجتماعية، وصياغة التمثلات والقيم، وإعادة تشكيل أنماط التواصل والتفاعل.

يتميز هذا الفضاء بخاصيتين أساسيتين:

الانفتاح اللامحدود على المحتوى: حيث يتعرض الطفل، دون قيود زمنية أو مكانية، إلى كمّ هائل من الرسائل البصرية والسمعية والمكتوبة، تأتي من مصادر متنوعة (يوتيوب، تيك توك، ألعاب تفاعلية، تطبيقات تعليمية، مؤثرون صغار... إلخ).

غياب الرقابة أو الانتقائية الاجتماعية: خلافاً للمؤسسات التقليدية كالعائلة والمدرسة، التي تخضع لضوابط قيمية وثقافية، فإن المحتوى الرقمي يعكس غالباً رؤى تجارية أو ثقافية أجنبية، قد تكون مناقضة للسياق المحلي، أو غير مناسبة للمرحلة العمرية للطفل.

لقد أدى هذا التفاعل المكثف مع الوسائط الرقمية إلى بروز "الاجتماعية الرقمية" أو Digital Socialization ، وهي عملية يتعلم فيها الطفل السلوكيات والمعايير من خلال الشبكات الرقمية بدل الأسرة أو المدرسة (Livingstone, 2009, p. 45). يتحول الفضاء الرقمي إلى بيئة موازية، بل ومنافسة، تعيد تشكيل طرق إدراك الطفل لذاته وللآخرين، وتؤثر في قيمه وخياراته وانتماءاته.

أشارت دراسة قامت بها Sonia Livingstone إلى أن الأطفال الذين يقضون أكثر من 3 ساعات يوميًا على الشاشات يظهرون سلوكيات أكثر تقليدًا للرموز الرقمية من تلك المكتسبة في بيئتهم الأسرية أو المدرسية (Livingstone & Helsper, 2007, p. 313). وهذا مؤشر على قوة الفضاء الرقمي في التأثير المباشر على تمثلات الطفل وبناء هويته الاجتماعية.

بالتالي، لم يعد بالإمكان دراسة الهوية الاجتماعية للطفل دون استحضار هذا "الفاعل الرقمي"، الذي لا ينقل فقط المعلومة، بل ينتج المعنى، ويشكل المرجعية الثقافية والسلوكية لدى الأجيال الجديدة.

4. تأثير الفضاء الرقمي على مكونات الهوية الاجتماعية للطفل

إن التفاعل المستمر للطفل مع الفضاء الرقمي لا يمر دون أثر على عملية بناء هويته الاجتماعية، إذ تترك البيئة الرقمية بصمات واضحة على مختلف مكونات هذه الهوية، من القيم، والانتماءات، واللغة، والتواصل، وصولاً إلى تمثل الذات والآخر. ويمكن استعراض هذه التأثيرات عبر مجموعة من المستويات:

1.4 التأثير على القيم و التمثلات الاجتماعية

الفضاء الرقمي يُعد منصة مفتوحة على أنماط حياة متباينة وثقافات متعددة، مما يؤدي إلى تشكل تمثيلات جديدة لدى الطفل حول العائلة، السلطة، الجندر، النجاح، وغيرها. وتؤكد دراسة أجراها Rideout et al (2011) أن الأطفال الذين يتعرضون لمحتويات رقمية بدون مراقبة يطورون مواقف أكثر استهلاكية وتحرراً من الضوابط الاجتماعية التقليدية (ص. 16)

كما أن خطاب المؤثرين (Influencers) عبر المنصات الرقمية يُسهم في نقل منظومة قيم قد لا تتلاءم دائماً مع القيم المرجعية للأسرة والمجتمع، مما يؤدي إلى ما يسميه بعض الباحثين "التفكك القيمي الافتراضي".

2.4 . التأثير على الانتماء الثقافي والوطني

يشكل المحتوى الرقمي، خاصة حين يكون مستورداً من ثقافات أجنبية، خطراً على الهوية الثقافية للطفل. إذ تُظهر دراسة أجرتها الباحثة الفرنسية Dominique Pasquier (2015) أن الأطفال المفرطين في استهلاك الرسوم المتحركة الأجنبية يُظهرون ميلاً أكبر لتبني أنماط لغوية وسلوكية مستمدة من الثقافة الرقمية العالمية على حساب المرجعيات المحلية (ص. 88).

3.4 . التأثير على اللغة والتواصل

تؤدي التطبيقات والألعاب الرقمية إلى تطبيع أنماط لغوية مختلطة، كما تضعف المهارات التواصلية المباشرة. وقد لاحظ مختصو التربية أن الطفل الرقمي يُبدي تراجعاً في القدرة على الإنصات والحوار الواقعي، مقابل قدرة أكبر على التفاعل الكتابي أو الرمزي عبر الوسائط (Gee, 2003, p. 56).

4.4 . التأثير على تمثل الذات

يرى بعض الباحثين أن العالم الرقمي يخلق "أنا رقمية" لدى الطفل، توازي هويته الواقعية، وتؤثر فيها. فاختيار الصور الرمزية (avatars)، والظهور في فيديوهات، وعدد الإعجابات والتفاعلات، كلّها عناصر تساهم في بناء تصور الطفل لذاته ومكانته الاجتماعية.

ووفق دراسة أجرتها American Academy of Pediatrics (2016)، فإن الأطفال الذين يربطون تقديرهم الذاتي بعدد المتابعين أو الإعجابات معرضون أكثر لاضطرابات نفسية وتشتت في الهوية، خاصة في غياب توازن بين الحياة الرقمية والحياة الواقعية (ص. 4).

5. مخاطر اختلال الهوية الطفولية في الفضاء الرقمي

في ظل التفاعل المتزايد بين الطفل والوسائط الرقمية، برزت جملة من المخاطر المرتبطة باختلال الهوية الاجتماعية، وهي مخاطر ذات أبعاد نفسية، اجتماعية، وثقافية، أبرزها:

1.5 . التشتت الهوياتي وفقدان التوازن

يؤدي انفتاح الطفل على مراجع ثقافية متضاربة إلى نوع من الارتباك الهوياتي، حيث تتداخل مرجعيات الأسرة مع رسائل المؤثرين، والقيم التربوية مع ثقافة الاستهلاك، مما يخلق صراعاً داخلياً في التمثلات والانتماءات (Turkle, 2011, p. 174).

2.5. ضعف الروابط الاجتماعية الواقعية

أظهرت دراسات عديدة أن الاستخدام المكثف للوسائط الرقمية يقلل من جودة وعمق التفاعل الاجتماعي الواقعي لدى الأطفال، ما قد يؤدي إلى العزلة الاجتماعية، ضعف التعاطف، وتآكل المهارات الحياتية (Twenge, 2017, p. 62).

3.5. سهولة الاستقطاب والتأثير الإيديولوجي

نتيجة هشاشة الهوية في سن الطفولة، يصبح الطفل أكثر عرضة لتبني أفكار متطرفة أو استهلاكية أو لا تتوافق مع بيئته، خصوصًا في غياب التأطير التربوي، حيث يسهل توجيهه من خلال تقنيات الذكاء الاصطناعي والخوارزميات (Livingstone & Blum-Ross, 2020, p. 129).

6. تحولات التنشئة الاجتماعية في ظل الرقمنة

لقد أعادت الرقمنة تشكيل أدوار الفاعلين التقليديين في التنشئة، إذ أصبحت الأسرة، المدرسة، ووسائل الإعلام التقليدية تتقاسم أدوارها التربوية مع فضاءات رقمية جديدة لا تخضع للرقابة بالمعنى الكلاسيكي.

1.6. من التنشئة الموجهة إلى التنشئة الشبكية

يتعلم الطفل اليوم عبر "التجريب الرقمي"، وليس فقط عبر التلقين أو القدوة. كما بات يشارك في صناعة المعنى، لا مجرد استقباله، مما جعل التنشئة أكثر تفاعلية ولكن أيضًا أكثر تشظيًا (Vandoninck et al., 2013, p. 98).

2.6. إعادة ترتيب السلطة التربوية

تراجعت سلطة الآباء والمربين لصالح "المؤثرين" و"اليوتوبرز"، الذين باتوا يمثلون نماذج مرجعية للأطفال. وهذا يخلق تحولًا في منظومة الشرعية التربوية، قد تُضعف من مكانة الفاعلين الكلاسيكيين في التنشئة.

7. التحديات المطروحة أمام الفاعلين التربويين

-ضعف التكوين الرقمي لدى الأسرة والمدرسة في التعامل مع وسائل التكنولوجيا.

-غياب التأطير القانوني والمجتمعي الكافي لحماية الأطفال من المحتوى الضار.

-صعوبة المراقبة الدائمة في ظل اتساع نطاق الأجهزة الرقمية المحمولة.

-تأثير الإعلانات الممولة والمحتوى الموجّه على سلوك الطفل وتمثلاته.

8. مقترحات لمرافقة الطفل في الفضاء الرقمي

1.8. التربية الرقمية Digital Literacy

تعزيز وعي الطفل والأهل بأخلاقيات الاستخدام، والتمييز بين الواقع والافتراضي، وبين المحتوى النافع والضار،

مع إدماج التربية الإعلامية في المناهج.

2.8. تطوير شراكة تربوية

إشراك الأسرة، المدرسة، والمجتمع المدني في مرافقة الطفل بدل الاقتصار على المنع أو الرقابة.

3.8. تحفيز الإنتاج المحلي

تشجيع المحتوى الرقمي التربوي المحلي الذي يعبر عن الثقافة واللغة الوطنية، ويقدم نماذج ملائمة للطفل في بيئته.

9. الخاتمة:

أضحى الفضاء الرقمي عنصرًا حاسمًا في بناء الهوية الاجتماعية للطفل، ليس فقط كمصدر معلومات، بل كفاعل اجتماعي يعيد تشكيل التفاعلات والمعاني والانتماءات. ورغم ما يتيح من فرص معرفية وتواصلية، إلا أن مخاطره على توازن الهوية لا يمكن إنكارها، خصوصًا حين يغيب التأطير الأسري والمؤسساتي. لذلك، فإن التحدي المطروح اليوم لا يتعلق بإبعاد الطفل عن الرقمنة، بل بتمكينه من أدوات الوعي والنقد، عبر مشاريع تربوية شاملة تتماشى مع تحولات العصر دون التفريط في خصوصيتنا الثقافية والاجتماعية.

10. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- يوسف، سامي. (2019). **الطفل والإعلام الرقمي: دراسة في المخاطر والتحديات**. بيروت: دار الفكر العربي.
- بوزيد، فتيحة. (2021). **الرقمنة والتحول الاجتماعي في التنشئة الأسرية**. مجلة العلوم الاجتماعية، 15(2)،

باللغة الأجنبية

- American Academy of Pediatrics. (2016). **Media and Young Minds**. Pediatrics, 138(5), e20162591. <https://doi.org/10.1542/peds.2016-2591>.
- Gee, J. P. (2003). **What Video Games Have to Teach Us About Learning and Literacy**. New York: Palgrave Macmillan.
- Livingstone, S., & Blum-Ross, A. (2020). **Parenting for a Digital Future: How Hopes and Fears about Technology Shape Children's Lives**. Oxford University Press.
- Pasquier, D. (2015). **Cultures lycéennes: La tyrannie de la majorité**. Paris: Éditions Autrement.
- Rideout, V., Foehr, U. G., & Roberts, D. F. (2011). **Generation M2: Media in the Lives of 8- to 18-Year-Olds**. Kaiser Family Foundation.
- Turkle, S. (2011). **Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other**. New York: Basic Books.
- Twenge, J. M. (2017). **iGen: Why Today's Super-Connected Kids Are Growing Up Less Rebellious, More Tolerant, Less Happy—and Completely Unprepared for Adulthood**. New York: Atria Books.
- Vandoninck, S., d'Haenens, L., & Donoso, V. (2013). **Social Networking Sites and Contact Risks Among Flemish Youth**. *Childhood*, 20(1), 94–112. <https://doi.org/10.1177/09075682124547>